

من كتاب: تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض: بعض فكر يحيى الرخاوي (22) ... كحدا إليه، لئلاقيه "لا أعلم من العقل... ولا أجهل من العقل" (1 من 2)

نشرة "الإنسان" 2021/07/31

السنة الرابعة عشرة - العدد: 5082



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

للأسف: اضطررت أن أقسم المقال على يومين حين شعرت بثقل ما يحمل وآملت أن يأخذ حقه في القراءة ببطء.

شكراً

“يا عبد، عذرت من أجهلته بالجهل،  
مكرت بمن أجهلته بالعلم”

(النفرى: مخاطبة 9)

أمرٌ بالكتابة

رعبٌ حقيقى، بفرحة! !

حين طلبت منى صاحبة الفضل رئيسة التحرير أن اشارك في هذا الملف، (سعيًا إلى الله) كدت أعتذر، لكن الإبن الشاعر الكريم نائبها تناول الهاتف، ذاكرًا كيف أننى ما انشغلت خلال نصف قرن بأكثر من انشغالى بهذه المسألة بشكل أو بآخر. كيف عرف؟ أحسست أن أحدهم قد خلع عنى ردائى دون إذن، وصلنى الطلب من جديد أمرًا كريمًا، ففرختُ فزعًا. تذكرت أمرًا قديمًا بالكتابة أنار لى بعض ما هو واجب لحمل الأمانة.

و“قال له:

”أكتب من أنت، لتعرف من أنت،

فإن لم تعرف من أنت، فما أنت من أهل معرفتى”

(النفرى: موقف الأمر)

وصلنى أنه أمرٌ لى شخصيا، ثم ها هو يتجدد الآن، من عرف نفسه أدخله سبحانه بين أهل معرفته، فعرفه.

استجبت آنذاك<sup>(3)</sup> بما عدلت بعضه الآن هكذا:

..“أمرك مطاع، مع أننى لا أفهمه ولا أريده،

..حذرتنا من قبل من الكتابة والحساب، ففهمت حتى خفت من الرموز والتراكم. رُعبت من الحرف

والقولية، فلماذا الكتابة؟ وكيف؟ لكنه أمرك.

كتبتنا (نفسى) على قدر علمى، ثم قرأتها، فعرفت لماذا أمرتني بكتابتها.

قلت لها، (لى) ... إن كانت منفصلة عنك، فلا حاجة بى إليها،

وإن كانت بديلة، أو تجرأت فتجاوزت الوسيلة، فهى ليست الطريق إليك،

أنت الذى كتبتنى، كتبتنا، فلم عدت تأمرنى أن أكتبها؟

لعلك تأمرنى أن أقرأ كيف كتبتنى،

”قال له“

“ أكتب من أنت، لتعرف من أنت،  
أنت،

فإن لم تعرف من أنت، فما  
أنت من أهل معرفتى“  
(النفرى: موقف الأمر)

”.. أمرك مطاع، مع أننى لا  
أفهمه ولا أريده،

..حذرتنا من قبل من الكتابة  
والحساب، ففهمت حتى خفت  
من الرموز والتراكم. رُعبت  
من الحرف والقولية، فلماذا  
الكتابة؟ وكيف؟ لكنه أمرك

كتبتنا (نفسى) على قدر

علمى، ثم قرأتها، فعرفت

لماذا أمرتني بكتابتها.

قلت لها، (لى) ... إن كانت

منفصلة عنك، فلا حاجة بى

إليها،

وإن كانت بديلة، أو تجرأت

فتجاوزت الوسيلة، فهى ليست

الطريق إليك،

أنت الذى كتبتنى، كتبتنا،

فلم عدت تأمرنى أن أكتبها؟

لعلك تُفهمني أنّ على أن أشكّلني بعد ما كتبتني أنت فطرة واعدة،  
ها أنذا أكتبني من جديد، في حين أنني لا أكتب، بل أقرأ كيف كتبتني،  
كل ما على هو أن أحافظ عليها، لما تعد به.  
فهل تسمح لي أن أكون من أهل معرفتك؟  
“ماذا آل إليه حال الدين”

كتبت مرارا مبينا كيف فشل تهميش الدين أو إلغاؤه أو اختزاله (الفرض؟! في هذا العمل)، ثم صار أغلب ما تبقى منه ليس هو، السلطات بأنواعها عبر التاريخ (بما في ذلك السلطة الدينية، بل: وخاصة السلطة الدينية) لم تكف عن محاولات الاستيلاء على الدين لما ليس هو، لما ليس له، وذلك: بالفصم، والاحتكار، والإحلال، والتشويه، والتقزيم، والاستعمال من الظاهر لعكس ما أراد، كالأمر ينتهي إلى أن تكون مهمة هذه السلطات هي أن يعيدوا صياغة الدين بما يحول بيننا وبين الطريق إليه، سبحانه، فانعكست وظيفة الدين.

الطريق إلى الله لنلاقيه هو طريق كدح معرفي بالغ الجدية يليق بتتويج رحلة الأحياء التي يقف على رأسها هذا الكائن الذي اسمه “الإنسان” بكل نبلة، وغروره، وإبداعه، وغبائه، بعد التورط في اكتساب الوعي، ثم الوعي بالوعي، أصبح الطريق إلى الله في حاجة إلى إقدام بيير المخاطرة التي يتوارى معها كل ما شاع من دعوات التخدير والطمأنينة السهلة المسطحة، تلك الدعوات التي يروجون بها الدين الخفيف مثلما يسوقون حبوب التهذئة، فلا يحققون إلا البُعد عن الله بالاسترخاء العقلي، وطمس الوعي، مع التراوح بين التأثيم والتأجيل والتواكل، كل ذلك أصبح حائلا - ناعما أو شائكا - بين العبد وربيه، الطريق إلى الله هو الطريق إلى المعرفة، الطريق إلى الله يحتاج كل وسائل الحركة في النفس إلى الكون، إليه تعالى، وبالعكس، وباستمرار، العقل - كما شاع عنه - هو مجرد أحد المطايا إلى ذلك، وهو أكثرها عرضة للخلل والانحراف، الطريق إلى الله له بداية منذ أن نولد، لكنه ليس له نهاية، حتى بكذبة بالموت.

كلما “عرف” الإنسان أكثر، اقترب منه أكثر، ليكدح إليه كدحا لا ينتهي، كرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض، الرعب الذي يغشى الساعى في هذا الطريق هو فزع من دهشة البهْر، هو إعلان بيبين حجم مسؤولية حمل الأمانة التي تصدّينا لحملها عندما عرضها سبحانه على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، تلك الأمانة التي إن لم نحملها بحقها، فلسنا إلا كما نبّه ربنا المتقاعس منا: فكان “ظلوما جهولا”. حين يدرك الذي غامر ليحملها بحقها مدى ثقلها، يتمنى - من هول المسؤولية - أن يتراجع، ألا يكون ما حدث هو ما حدث. لكنه، وبنفس القدر، يتمنى ألا تتحقق أمنيته. سجّلت مثل هذا الموقف الصعب يوما:

“يا ليتني طفوتُ دون وزن،  
يا ليتني عبرتُ نهر الحزن،  
من غير أن يبتل طُرفي فَرَقًا.  
يا ليت ليلى ما انجلى،  
ولا عرفتُ شفرة الرموز والأجنّة.

....

إي، هجرة الطيور

في الشاطئ المهجور:

عفوا فعلثها.

...

فك القيود صلت السلاسل

طارت يمامة من الخمائل

العمرُ بعد ما انقضى!!!

لعلك تأمرني أن أقرأ كيف  
كتبتني،  
لعلك تُفهمني أنّ على أن  
أشكّلني بعد ما كتبتني أنت  
فطرة واعدة

كتبت مرارا مبينا كيف فشل  
تهميش الدين أو إلغاؤه أو  
اختزاله (الفرض؟! في هذا  
العمل)، ثم صار أخلبه ما تبقى  
منه ليس هو

السلطات بأنواعها عبر التاريخ  
(بما في ذلك السلطة الدينية،  
بل: وخاصة السلطة الدينية) لم  
تكف عن محاولات الاستيلاء  
على الدين لما ليس هو، لما  
ليس له

الطريق إلى الله لنلاقيه هو  
طريق كدح معرفي بالغ  
الجدية يليق بتتويج رحلة الأحياء  
التي يقف على رأسها هذا  
الكائن الذي اسمه “الإنسان”  
بكل نبلة، وغروره، وإبداعه،  
وغبائه

بعد التورط في اكتساب  
الوعي، ثم الوعي بالوعي،  
أصبح الطريق إلى الله في حاجة  
إلى إقدام بيير المخاطرة التي  
يتوارى معها كل ما شاع من  
دعوات التخدير والطمأنينة  
السهلة المسطحة

العمرُ بعدُ ما بدا.

....

أشلاؤها تفجرت مضيئة،  
نرى ندورُ ننكفي.  
...تناثر، تخلقت، تحدت

وماتت التمانم

...

يا هولهُ الصراخ دون صوت  
يا رُعبها ولادة كموث  
يا حظاً من لم يحمل الأمانة،  
يا ويل من صاحبها في خدرها  
أو عاش ملتفاً بها، وحولها

....

...

يا مقودَ الزمان لا تطلقني  
ثقيلة ومرعبة،:  
قوله: "كُنْ".

لو "كان": بثْ بانسا،

لو "كان": طرث نورسا،

لو كان دُرث حول نفسي جدلاً .

السعى إليه لا يكون إلا بالسعى إليه، والعقل أحد السبل إلى ذلك شريطة ألا يقتصر مفهومه على تلك القلنسوة اللامعة المصنوعة تماما من الرموز والأبجديات الساكنة، "العقل القلنسوة" لا يمكن أن يُثبت وجود الله، لكنه وبنفس منطق الخائب، لا يمكنه أن ينفيه. نحن نحتاج إلى إعادة التعرف على مفاهيم كثيرة شاع استعمالها قاصرة بعد أن تجمدت فلم تعد كما وعدت، وفي مقدمة ذلك: العقل، والوعي، والعلم، والواقع.

### الوعي والعقل

في كتابه عن "الطريق لفهم الوعي" والمسمى "أنواع العقول"<sup>(4)</sup> تناول دانيال دينيت تصنيف العقول ومراحل تطورها باعتبارها مراحل فطبقات من الوعي، منذ ما قبل الإنسان. هذه الأنواع من العقول هي مستويات وجود متصاعدة تم برمجتها بذكاء فطري حافظ على بقاء كل نوع إلى مدها. العلوم النفسية الأحدث لا تتناول ما هو "وعي" بما ينبغي من جدية ومثابرة. علم السلوك ينفيه أو يهمله، والتحليل النفسي التقليدي يضعه قشرة شعورية فوق، وحول، مجهولٍ غامضٍ مراوغ اسمه "اللاشعور"، والطب النفسي التقليدي والعلوم العصبية تختزله إلى وظيفة لجهاز عصبى شبكى صاعد، يقوم بوظائف الانتباه واليقظة وما إلى ذلك. الوعي غير كل ذلك، مع أنه يشمل كل ذلك. مستويات هذه البرامج الحيوية ترتبت هيراركيًا بطريقة شديدة الإحكام ترجع عادة إلى تاريخ حيوى أقدم كثيرا من ظهور الإنسان، ثم اشتملها الإنسان لتحمل تاريخه ليتكامل. الوعي المشتمل هو أداة السعى إليه، وفي نفس الوقت هو هدف السعى الذى لا يتوقف، هو "عملية" حركية جُماع العقول التشكيلية الكلية الهيراركية المتناغمة الفاعلة الذكية. لا يجوز، والأمر كذلك، أن يحل العقل الظاهر أو الشعور (الفرويدى) محله بحال.

واقع، وواقع، وواقع...

فى نفس الوقت، أدى الرعب من الخرافة إلى إنكار الغيب برمته، مع أن الغيب هو واقع آخر. احتكر

الطريق إلى الله هو الطريق إلى المعرفة، الطريق إلى الله يحتاج كل وسائل الحركة فى النفس إلى الكون، إليه تعالى

الطريق إلى الله له بداية منذ أن نولد، لكنه ليس له نهاية، حتى بكذبة بالموت.

كلما "عرفه" الإنسان أكثر، اقترب منه أكثر، ليكسح إليه كدحا لا ينتهى، كرسية سبحانه وسع السماوات والأرض، الرعب الذى يغشى السامع فى هذا الطريق هو فزع من دهشة البحر، هو إعلان يبين حجم مسؤولية حمل الأمانة التى تصدّينا لحملها

تلك الأمانة التى إن لم نحملها بحقها، فلسنا إلا كما نبّه ربنا المتفاحس منا: فكان "ظلوما جهولا

"يا ليتنى طهوت دون وزن، يا ليتنى عبرت نهر العز، من خير أن يبطل طرفى قرقاً. يا ليت ليلى ما انجلي، ولا عرفت شجرة الرموز والأجبة

يا مقودَ الزمان لا تطلقني  
ثقيلة ومرعبة،:  
قوله: "كُنْ".

لو "كان": بثْ بانسا،

لو "كان": طرث نورسا،

لو كان دُرث حول نفسي

جدلاً

الواقع الظاهر كَل ما يسمى الواقع، فاحتل أرضا هي أرحب بكثير من أن يشغلها، هذا الواقع الملموس أزاح كل واقع آخر سواء بالداخل أم بالخارج، سواء أمكن رصده أو رصد آثاره أم اقتصر الأمر على استشرافه فالإيمان به يقينا من خلال إيقاع الحركة إليه. بداية الطريق هي الإقرار بأن الواقع هو واقع وواقع وواقع، وكثير، تماما كما أن الوعي هو وعى ووعى ووعى ، وكثير، إليه واحدا أحد.

.....

ونكمل غداً

برجاء من سيقراً نشرة باكر أن يبدأ بإعادة قراءة هذه النشرة

شكرا

السعى إليه لا يكون إلا بالسعى إليه، والعقل أحد السبل إلى ذلك شريطة ألا يقتصر مفهومه على تلك القلنوسة الامة المصنوعة تماما من الرموز والأبجديات الساكنة

نحن نحتاج إلى إعادة التعرف على مفاهيم كثيرة شاع استعمالها فاصرة بعد أن تجمدت فلم تعد كما وعده، وفي مقدمة ذلك: العقل، والوعي، والعلم، والواقع.

الوعي المشتمل هو أداة السعى إليه، وفي نفس الوقت هو هدف السعى الذي لا يتوقف، هو "عملية" حركية جماع العقول التشكيلية الكلية المبراركية المتنازعة الفاعلة الذكية. لا يجوز، والأمر كذلك، أن يدل العقل الظاهر أو الشعور (الفرويدي) محله بحال

- [1]المقتطف من كتاب " تزييف الوعي البشرى، وإنذارات الانقراض" (بعض فكر يحيى الرخاوى) الطبعة الأولى (2019) وصورته الأولى كانت مقالات في (مجلة سطور) (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحّة النفسية شارع 10، وفي مؤسسة الرخاوى: 24 شارع 18 مدينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط

- [2]مجلة سطور: (عدد يونيو - 2006)

- [3]يحيى الرخاوى - إيهاب الخراط (مواقف النقرى بين التفسير والاستلهام) عام 2000، (ص 91) الناشر: مركز المحروسة.

- [4]قام المترجم د. مصطفى فهمى، ربما تسهلا على القارئ العربى بترجمة العنوان إلى "تطور العقول" برغم أنه ترك العنوان الفرعى مشكورا وهو "الطريق إلى فهم الوعي."

دانيال دينيت "أنواع العقول" ترجمة: د. مصطفى فهمى، الكتاب المترجم صادر عن "المكتبة الأكاديمية" القاهرة 2003

Daniel C. Dennet "Kinds of Minds Towards Understanding of Consciousness" (1996)

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%aa%d8%b2%d9%8a%d9%8a%d9%81-%d8%a7%d9%84%d9%88%d8%b9%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%89%d8%8c-%d9%88%d8%a5%d9%86%d8%b0%d8%a7%d8%b1%d8%a7%d8%aa-20/>

إرتباط كامل النص مع المقتطفات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD310821.pdf>

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوبج

21 عاما من الضج... 19 عاما من الإنجازات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الوبج: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>